اضطراب ترجمة المصطلح في الخطاب النقدي المغاربي المعاصر
قراءة في نماذج مختارة د. فريد زغلامي، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

مقدمة:

يُعدّ " المصطلح النقدي" مما يتّصل بلغة النقد اتصالا وثيقا، ويمثّل ركنا ركينا فيها،فهي لا تقوم إلا به، بل لا يمكن أن يوسم خطاب بأنه نقد إذا خلا منه وافتقر إليه. ولا يختلف أهل الذكر من العلماء والباحثين والنقاد حول أهمية المصطلح ودوره في تحصيل العلوم والمعارف، بل يتفقون على أن مصطلحات العلوم هي مفاتيحها، وزبدتها، ورحيقها؛ لأن "التحكم في اللغة المصطلحية،هو في النهاية، تحكم في المعرفة المراد تبليغها، وتعبير عن مدى كفاية المشتغل على ضبط أنساق هذه المعرفة"[1].

ولاريب أن المصطلح النقدي، شأنه شأن غيره من المصطلحات في مختلف العلوم، يُمثّل نواة مركزية ومحورا أساسيا في الخطاب النقدي، فهو من أولى قنوات التواصل بين النقاد في اللغة الواحدة، وجسر اللتبادل الثقافي والحضاري بين الشعوب والأمم المختلفة؛ لذلك لا تزال العناية بالمصطلحات قائمة منذ عهود وعصور خلت، ومن يستقرئ التراث العربي القديم سيلحظ ذلك في كل فن أوعلم من العلوم، دينيا كان أم دنيويا.

1) لحسن دحو، كاريزما المصطلح النقدي العربي: تأملات في الوعي النقدي وصياغة المفهوم، مجلة المخبر، جامعة محمدخيضر، بسكرة،الجزائر، ع7، 2011،ص 207.

ولم يقتصر الاهتمام بالمصطلحات على العلماء العرب الأوائل، بل لقد أولى العديد من الباحثين المغاربة المعاصرين أهمية قصوى للمصطلحات والمفاهيم حتى استحدثوا في سبيل ذلك العديد من المراكز المتخصصة عهدوا إليها بوضع وترجمة المصطلحات وضبطها كالمختبرات والمجامع العلميةاللغوية. وعلى الرغم من ذلك فقد شابت المصطلح النقدي في الدراسات النقدية المغاربية المعاصرة معضلات ومشكلات متعددة، وصلت بالكثير من الباحثين إلى وسمها بالأزمة الاصطلاحية.

من هنا فإنه يمكن صياغة إشكالية هذه الدراسة في التساؤلات الآتية: ما هي أبرز مظاهر اضطراب ترجمة المصطلح في الخطاب النقدي المغاربي المعاصر؟ هل هذا الاضطراب يمثل حالة صحية يمرّ بها النقد عموما أم معضلة اصطلاحية تستوجب حلولا عاجلة؟ وما هي أهم الحلول المقترحة للخروج من إشكالات ترجمة المصطلح في الخطاب النقدي المغاربي المعاصر؟

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على جملة من إشكالات ترجمة المصطلح في الخطاب النقدي المغاربي المعاصر من خلال بعض النماذج النقدية، ومحاولة تشخيص المآزق التي اعتورتها من مثل: (تعدد المصطلحات للمفهوم الواحد، التداخل بين المصطلحات والكلمات العادية، ذاتية الاجتراح الاصطلاحي، إلصاق مصطلح أجنبي معرّب بمصطلح عربي أصيل...)، ثم التطلع لإيجاد حلول لتجاوزها.

استعنا في هذه الدراسة ببعض الأدوات والإجراءات المنهجية ممثلة في الوصف والتحليل، حيث يعمل الأول على وصف وتشخيص الوضع المتأزم للمصطلح المترجم في الخطاب النقدي المغاربي، ثم يحللها الإجراء الآخر لمعرفة الأسباب الرئيسة التي تقف وراء اضطراب ترجمة المصطلح النقدي في هذا الحيز الجغرافي، بالإضافة إلى محاولة تقديم حلول ناجعة لمعالجة هذه الإشكالية.

1. مفهوم المصطلح النقدي:

يُعرّف المصطلح عموما على أنه "لفظ وافق عليه العلماء المختصون في حقل من حقول المعرفة والتخصص للدلالة على مفهوم علمي"[1]، فهو بذلك علامة لغوية

1) محمد حلمي خليل، المصطلح الصوتي بين التعريب و الترجمة، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، المغرب، ع21، 1983، ص 112.

اصطلحت عليها جماعة علمية تربط بين دال أو تعبير صوتي ومدلول أو مفهوم، لا يمكن الفصل بينهما مثل وجهي الورقة الواحدة.

أما المصطلح النقدي فهو"رمز لغوي (مفرد أو مركب) أحادي الدلالة، منزاح نسبيا عن دلالته المعجمية الأولى يعبر عن مفهوم نقدي محدد وواضح،متفق عليه بين أهل هذا الحقل المعرفي، أو يرجى منه ذلك"[1]، إنه مجموع الألفاظ الاصطلاحية في حقل النقد الأدبي المعبرة عن مفاهيم محددة.

2. مفهوم الترجمة:

لا يخفى أن الترجمة من أهم الطرق أو السُبل التي تؤدي إلى التبادل والتقارب بين الأمم المختلفة في شتى المجالات، كما تمثّل إحدى أهم آليات صياغة واجتراح المصطلحات عموما والنقدية على وجه الخصوص.

يراد بالترجمة بصفة عامة النقل من لغة إلى أخرى لأغراض معينة وبضوابط خاصة، أما ترجمة المصطلح فتعرّف على أنها " وسيط تواصلي بين اللغات والثقافات؛حيث يمارس المصطلح المترجم ترحالا وظيفيا تحرر فيه القواعد المعجمية للفوز بالمعنى الواحد في خطابات الترجمة مما يقتضي التعامل مع شبكة اصطلاحية متجانسة، تتوزع استراتيجي التحقق التضمين المناسب والتنوع اللغوي المعادل"[2].

3. إشكالات ترجمة المصطلح النقدي:

يلخص بعض الباحثين مشكلات ترجمة المصطلح النقدي ومظاهر تأزمه في الثقافة النقدية العربية المعاصرة عموما والمغاربية خصوصا في نقاط أهمها: تعدد المصطلحات للمفهوم الواحد، تعدد المفاهيم للاصطلاح النقدي الواحد، ذاتية المفاهيم الاصطلاحية (عدم تنسيق الجهود بين الباحثين والنقاد أثناء وضع المصطلح وترجمته)، الخلط بين المصطلحات والكلمات العادية(3)، وهو ما أفضى إلى اضطراب

1)يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر و الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، 2008، ص 24.

2) سعيدة كحيل، الترجمة والمصطلح، مجلة الآداب العالمية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ع144 ،2010، ص29.

3) ينظر: منتهى الحراحشة، من مشكلات المصطلح النقدي في الدراسات النقدية العربية الحديثة والمعاصرة، مجلة اتحاد الجامعات العربة للآداب والعلوم الإنسانية، جمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد

وبلبلة في استخدام المصطلح النقدي وتوظيفه، مما أدى إلى غموض الخطاب النقدي. وسنحاول فيما يأتي الوقوف على هذه الإشكالات في نماذج وعينات منتقاة من خطابنا النقدي المعاصر، ثم محاولة تقديم بعض الاقتراحات والحلول للخروج من هذه الأزمة أو تقليل غلوائها على الأقل.

1.3. تعدد المصطلحات للمفهوم الواحد:

يمثّل تعدد المصطلحات للمفهوم النقدي الواحد أكثر مشكلات ترجمة المصطلح التي يعاني منها المصطلح في الخطاب النقدي العربي المعاصر والمغاربي منه على وجه الخصوص، وقدأرقت هذه المعضلة وتؤرق النقاد والباحثين والقراء عموما؛ لما تشيعه من الفوضى والاضطراب والالتباس، وكمثال على ذلك فقد أحصى الباحث الجزائري " يوسف وغليسي " أكثر من خمسة وثلاثين ترجمة عربية للمصطلحين الأجنبيين (Sémiologie) و(Sémiotique)[1] ،وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على شيوع الذاتية والفردية في ترجمة المصطلحات واجتراحها، وعدم التنسيق بين النقاد والباحثين أنفسهم، وبينهم وبين الهيئات والمجامع اللّغوية التي يعهد إليها عادة مهمة وضع المصطلحات وتسمية ما يُستجد في حقول العلم والمعرفة.

وقد عرّج العديد من النقاد على هذه الأزمة التي تعصف بالمصطلح النقدي في الثقافة العربية، وإن كان للكثير منهم نصيب منها،حيث لا يخفى أن البلبلة والخلط الذي يميّز لغة النقد الأدبي عندنا متأتية في بعض نواحيها من انتشار توظيف مصطلحات عديدة للمفهوم الواحد؛ إذ "يمكن أن يتّضح الاضطراب الكامل في ذهن القراء من الأسئلة المتكررة التي يواجهها الطلبة عن الفروق بين كلمات تستخدمه االلّغة العربية مثل"الرومانتيكية" و"الرومانطقية " و"الرومانسية " و"الابتداعية "،وهي كلّها مستخدمة في مقابل مصطلح Romanticism أوالفرقبين "مسرح العبث"

الجامعات العربية، أربد، الأردن، م6، ع2، 2009، ص 202. وعبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في النقد العربي المعاصر، مقاربة حوارية في الأصول المعرفية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، مصر، 2005، ص 298-311.

1) ينظر: يوسف وغليسي،مناهج النقدالأدبي، ط1، دار جسور، الجزائر، 2007، صص101- 107.

و"مسرح اللامعقول" في مقابل مصطلح Theatre of Absurd أو عن الفرق بين" تيار الوعي" و " تيار الشعور" في مقابل مصطلح Stream of Consciousness وقد وصل البعض في ترجمة هذا المصطلح حدا جعله معه "تيار اللاوعي" فعكس معناه تماما. وحتى المصطلحات الشائعة لا تزال تلقى في ترجمتها إلى اللغة العربية اضطرابا بيّنا، وخذ مثلا مصطلح Novel الذي لا يزال مترددا بين "الرواية" و"القصة" و"القصة الطويلة" الخ.

أما الموقف الأحدث في ترجمة المصطلحات فقد تجاوز الاضطراب إلى " الإلغاز " مما جعل كثيرا مما يكتب باسم النقد الأدبي مثيرا للسخرية ومثيرا للإشفاق"[1].

يتأكد من المقبوس أن من أهم أسباب الأزمة الاصطلاحية عندنا توظيف مقابلات عربية عديدة للمصطلح الأجنبي الواحد؛ مما يحدث اضطرابا وتشويشا في ذهن القارئ، ويعتبر مصطلح (Romanticism) من بين المصطلحات التي طالها التشرذم والتعدد والفوضى الاصطلاحية دون الاتفاق على مقابل واحد لهذا المصطلح الأجنبي، كما هو مبين من خلال المقابلات المذكورةأعلاه.

كما يعدّ المصطلح الأجنبي (Stream of Consciousness) من بين المصطلحات النقدية التي انتقلت إلى الثقافة العربية، وكانت بسبب الترجمة ضحية للتعدد والتشرذم الاصطلاحي، وقد بيّن "محمود الربيعي " متأسفا بعض الترجمات التي تقابل هذا المصطلح الأجنبي عندنا، وهي: " تيار الوعي " " تيار الشعور "، " تيار اللاشعور"، إلا أن ما أُغْفل هنا أن " الربيعي " ذاته كانت له يد طولى في هذا التعدد والفوضى الاصطلاحية؛باعتباره أول من ترجم كتاب " تيار الوعي في الرواية الحديثة Stream) (of Consciousness In The Modern Novel لـ" روبرت همفري (R. Humphrey)" في سبعينيات القرن الماضي، ونشر في السنة ذاتها (1973) التي نشرت فيها هذه الترجمة كتابه (قراءة الرواية،نماذج من نجيب محفوظ) الذي محص قدرا مهما منه للكشف عن مدى حضور أساليب وتقنيات تيار الوعي في روايات المرحلة الفلسفية من تاريخ "نجيب محفوظ " الروائي.

1) محمود الربيعي،في النقدالأدبي (وما إليه)،دار غريب ، د. ط، القاهرة، مصر، 2001،ص 253، 25

ويتجلّى إسهام " محمود الربيعي " في ماحدث للمصطلح الأجنبي (Stream of Consciousness) من بلبلة وتعددا صطلاحي أثناء نقله إلى اللّغة العربية في كتابه " قراءة الرواية " خاصة؛ إذ تجده مرات عدّة يوظّف مصطلح "تيار الوعي" كمقابل للمصطلح الأجنبي[1]، ومرة يستعمل مصطلح " تيار الشعور[2]، وثالثة " تيار الأفكار"[3]،وأخرى "المنولوج الداخلي " [4]،على الرّغم من أن " المنولوج الداخلي " تقنية من تقنيات " تيار الوعي "،وليس هو " تيار الوعي"،وهو ماأشار إليه " روبرت همفري " في كتابه " تيار الوعي في الرواية الحديثة "[5]الذي ترجمه " الربيعي" ذاته، كما ألمعنا إلى ذلك سابقا.

وليس مصطلحا (Critique de la Critique) و (Méta critique) بمنأى عن هذه الإشكالية، فقد ترجما، على حدّ اطّلاعنا، إلى "نقد النقد"، وهي الترجمة الأكثر استعمالا ودورانا في قاموس النقد العربي والمغاربي المعاصر، و"ما بعد النقد" و"النقد الشارح" و"قراءة القراءة" و"الميتانقد". يشير العديد من النقاد والباحثين في كثير من المناسبات إلى أن أول ترجمة لمصطلح (Critique de la critique) كانت على يدي "سامي سويدان" مترجم كتاب "تزيفيتان تودوروف" (Critique de la Critique Un Roman d'Apprentissage) إلى (نقد النقد رواية تعلم)، وذلك سنة 1986؛ أي بعد حوالي ثلاث سنوات من صدور هذا الكتاب لأول مرة باللغة الفرنسية. إلا أن الملاحظ أن مصطلح "نقد النقد" قد شهد رواجا في الثقافة النقدية العربية، بدلالات مختلفة، قبل هذه الترجمة بردح من الزمن.

فقد استعمل، في حدود ما هو متوفر لدينا من مصادر، لأول مرة في خمسينيات القرن الماضي، وكان ذلك في مقدمة ديوان "بعد الأعاصير" لـ " عباس

1) ينظر: محمود الربيعي،قراءة الرواية،نماذج من نجيب محفوظ، دار غريب،د. ط، القاهرة، مصر، 1997،صص22، 24، 26، 34، 72، 73، 78 وغيرها.

2) المرجع نفسه،صص27، 67.

3) المرجع نفسه،ص22.

4) المرجع نفسه،ص111.

5) روبرت همفري، تيار الوعي في الرواية الحديثة، تر(محمود الربيعي)، مكتبة الشباب، د. ط، القاهرة، مصر، 1984، ص44 وما بعدها.

محمود العقاد". كما أثيرت على صفحات جريدة "الأهرام" في ستينيات القرن الماضي "أزمة النقد الفني في حلقات موضوعها "نقد النقد" ومدى عبث المحترفين لصناعة النقد بهذا الفن الجميل"[1]، ثم إن لعبده عبد العزيز قليقة كتابا معنونا بـ"نقد النقد في التراث العربي" نشره سنة 1975.

يبدو أن استعمال مصطلح "نقد النقد" في هذه المرحلة كان استعمالا عفويا «ينطق من المعنى اللغوي للمصطلح، دون استيعاب لأسسه النقدية والفلسفية»[2]. أما المرحلة الثانية لتداول مصطلح "نقد النقد" فقد تجلّت منذ بداية ثمانينيات القرن الماضي، وكانت الانطلاقة مع مقال "نقاد نجيب محفوظ، ملاحظات أولية" لـ " جابر عصفور " الذي نُشر في مجلة فصول سنة1981م؛ أي قبل نشر كتاب "تودوروف" لأول مرة بحوالي سنتين، وقد كان "جابر عصفور" على وعي بدلالة هذا المصطلح، وعلى وعي بهذا الحقل المعرفي الذي بدأ يتشكّل؛ بدليل أنه قدّم مفهوما لمصطلح "نقد النقد" لا يبتعد كثيرا عن المفاهيم التي وُضعت له فيما بعد.

غير أن "جابر عصفور" يستعمل مقابلا آخر كترجمة لمصطلح (Métacritique) هو مصطلح "ما بعد النقد"؛ إذ يذهب إلى أن هذا الأخير" مستعار من "المنطق الرمزي" عبر "علم اللغة"، ذلك أن ما بعد النقد هو عملية مراجعة تشبه –في جذورها- العملية التي تراجع بها نفسها اللغة باستخدام كلماتها، أو العملية التي تجعلنا نتحدث باللغة العربية – مثلا- عن اللغة العربية ذاتها"[3]، وهو يشير هنا إلى مصطلح "Métalangage". لكن ترجمة السابقة (Méta)، في هذا الوضع بالذات، بمصطلح "ما بعد" لا تخلو، في حقيقة الأمر، من إشكال والتباس، على اعتبار أن "دلالة هذه السابقة في العلوم الإنسانية تعني الإخراج والإبعاد، كما تعني الاحتواء والإدخال. فإلى أيّ المعنيين يُراد؟ إلى الأول أم إلى الآخر؟ وأيهما أليق بالمقام؟"[4]. فهل

1) بدوي طبانة،التيارات المعاصرة في النقد الأدبي،دارا لمريخ، الرياض، ط3، السعودية، 1986،ص 60.

2) محمد مريني، نقد النقد في المفهوم والمصطلح والمقاربة المنهجية، مجلةعلامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدة،السعودية، م16،ع64،فبراير 2008، ص39.

3) جابر عصفور، نقاد نجيب محفوظ، ملاحظات أولية، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، م1،ع3، أبريل 1981،ص177

4) عبد الملك مرتاض، مائة قضية... وقضية،دار هومه،ط1، الجزائر، 2012،ص53.

إذا تحدث ناقد عن كتابات ناقد آخر محللا إياها ناظرا في مبادئها ومرجعياتها ومصطلحاتها وآلياتها الإجرائية، نقول: إن النقد الثاني يقع خارج إطار النقد الأول، وينفصل عنه؟ ألم ينسج النقد الثاني على النقد الأول؟ ولولا هذا الأخير لما كان ليعرف النور؟

أما إذا كانت "ما بعد" التي يصطنعها جابر عصفور كترجمة للسابقة "Méta" تشير إلى تراتيبة زمنية فهذا لا ينكره أحد، أما أن تشير إلى نوع من الإبعاد أو الانفصال أو حتى الأفضلية، فهذا ربما ما لا يتفق معه فيه أحد.

وليت "جابر عصفور" اكتفى بهاتين الترجمتين لمصطلح "Métacritique"؛ إذ راح في مقام آخر يترجمه بمصطلح "النقد الشارح"، ويقول" هكذا بدأ مصطلح النقد الشارح (Métacritism) يظهر في موازاة اللغة الشارحة (Mètalanguage) ويلح كلاهما على الاستخدام النقدي بوصفهما دالين على التفات النقد إلى نفسه، وعلى وعي لغته بحضورها المائز في إشارتها الذاتية"[1]، ولا يشير ، كما هو ملاحظ، ظاهر مصطلح "النقد الشارح" إلى مفهومه الذي أراد "جابر عصفور" أن يدل عليه، بخلاف مصطلح "نقد النقد" المتداول، كما أن الشرح آلية لا يكاد يخلو منها حقل معرفي.

وقد تُرجم مصطلح (Critique de la critique) أيضا إلى "قراءة القراءة"، وكان من بين النقاد المغاربة الذين نقلوا المصطلح الفرنسي إلى هذه الصيغة الناقد الجزائري "عبد الملك مرتاض" في مقالته "الكتابة التحليلة بين التراث والحداثة" (1993)، غير أنه عدل في كتاباته الأخيرة إلى توظيف مصطلح "نقد النقد" بديلا عن مصطلح "قراءة القراءة"؛ فاختار للفصل الأخير من كتابه " في نظرية النقد"عنوان " في نقد النقد" رائيا أن ترجمة "سامي سويدان" مصطلح "critique de la ctirique" بـ"نقد النقد" " تقبلها ذوق النقاد العرب المعاصرين تقبلا حسنا"[2]، و يصف "عبد الملك مرتاض" هذه الترجمة في كتابه الأحدث زمنا "مائة قضية...و قضية" (2012) بأنها "ترجمة عربية

1)جابر عصفور، نظريات معاصرة، الهيئةالمصرية العامة للكتاب، د. ط، القاهرة، مصر، 1998،ص271.

2) عبدالملك مرتاض، في نظرية النقد (متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها)،دارهومه،ط1، الجزائر، 2005،ص222.

صحيحة"[1]، قائلا عن مصطلح "نقد النقد" : إنه "المصطلح الذي نميل إلى استعماله"[2].

وتتجلى إشكالية تعدد المصطلحات للمفهوم الواحد بصورة واضحة في الخطاب النقدي السيميائي المغاربي، فهو ربما أكثر الاتجاهات النقدية في الثقافة المغاربية المعاصرة التي تغوّلت فيها هذه الأزمة، ويعود ذلك لاستعصاء وتنوع المفاهيم السيميائية في لغتها الأصلية ما أدى إلى اختلاف النقاد والمترجمين في نقل المصطلحات السيميائية إلى الثقافة العربية.

ويبرُزُ الناقد والمترجم الجزائري "رشيد بن مالك" كأحد أهم الأسماء التي كان لها فضل كبير في تعريف القارئ العربي والجزائري خصوصا بسيمياء السرد ترجمة وتنظيرا وممارسة، غير أن ذلك لم يمنع من تلبسه بالفوضى والتذبذب في نقل وترجمة المصطلحات من معينها الأصلي، ومن ذلك الترجمات المتعددة للمصطلح الواحد في كتاباته المختلفة. ويمكن أن نذكر أمثلة على ذلك كترجمته لمصطلح (Immanence) مرة بـ: "الملازمة" [3] ومرة بـ" المحايثة"[4] أو ترجمته لمصطلح (Manipulation)مرة بـ :" استعمال"[5]، ومرة بـ "إيعاز"[6] ومرة بـ "تحريك"[7] ومرة بـ "تفعيل"[8]؛ أي مصطلح أجنبي واحد مقابل مصطلحين عربيين وأحيانا مقابل أربعة مصطلحات. وهو بلا شك أمر يبعث على الريبة، ويشوش ذهن القارئ العربي ويربكه، ويزيد الخطاب النقدي اضطرابا وتأزما.

1) عبد الملك مرتاض، مائة قضية...وقضية، ص 54

2) المرجعنفسه،ص 56.

3) رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص/عربي – إنجليزي- فرنسي، دار الحكمة، الجزائر، ط1، 2000، ص89.

4) رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط1، 2000، ص40.

5)رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص/عربي – إنجليزي- فرنسي، ص102.

6) رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص34.

7) رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006، ص27.

8) المرجع نفسه، ص27.

2.3. التداخل بين المصطلحات والكلمات العادية:

هناك إشكالية اصطلاحية أخرى تعترض سبيل النقد العربي المعاصر، وهي التداخل بين الكلمات العادية والمصطلحات وعدم التفريق بينهما؛ أي إطلاق الكلمات والعبارات إطلاقا، وتسميتها مصطلحات، وهذه معضلة واجهت النقد العربي الحديث منذ انفتاحه على الثقافة الغربية، وشروعه في الترجمة عنها، خاصة وأن كثيرا ممن تصدّوا لهذا المشروع العلمي لم يكونوا مؤهلين تأهيلا كاملا لذلك؛ حيث إنه "بدلا من أن يتعامل القارئ مع مصطلح نقدي يحمل دلالة اصطلح عليها في عرف علماء النقد، يجد نفسه أمام ألفاظ عادية خاصة بناقد معين اقتبسها من الأصل الأجنبي وحاول أن يقدمها إليه كما هي، دون أية محاولة لاستكناه دلالاتها الخفية، الأمر الذي يزيد من غموض وغرابة المصطلح المترجم"[1].

إن الناظر في القائمتين بالمصطلحات اللتين ألحقهما " توفيق الزيدي " بكتابه " أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث " وسمى إحداهما بـ" المصطلحات المستقرة " والأخرى بـ" المصطلحات المتأرجحة " يجد أن" تسمية هذه الكلمات بالمصطلحات فيه "تجاوز كبير"؛ وأن الأحرى أن تسمى ترجمة لمصطلحات أجنبية في كلمات أو عبارات عربية استخدم فيها الحس الشخصي، ولم تكتسب بعد أي قدر من الاستقرار والتداول والاتفاق يجعل منها مصطلحات"[2]، ومن الأمثلة على هذه المصطلحات من القائمتين كـ: " تداول " في مقابل Alternance، و" زمنية " في مقابل Diachronie، و"عبارة " في مقابل Parole، و" مبدأ النشأة " في مقابل "Genèse"[3]، فهذه " الكلمات العربية ليس لها معنى اصطلاحي على الإطلاق لمن لا يعرف أصلها الأجنبي؛ وإذا نُحّي عنها أصلها الأجنبي فقدت كل ظل أدبي أو نقدي؛ والدليل على أن المؤلف نفسه يدرك هذا أنه يرفدها دائما بأصلها الأجنبي، فأين معنى كونها مصطلحا إذن؟"[4].

1) عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في النقد العربي المعاصر، ص309.

2) محمود الربيعي، في النقد الأدبي (وما إليه)،دار غريب، القاهرة، مصر، د. ط، 2001، ص219.

3) توفيق الزيدي، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث من خلال بعض نماذجه، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1984، ص 164 وص 168.

4) المرجع نفسه،ص219.

ومنبينالكلماتالعاديةالتيتم ترجمتها علىأنهامصطلحاتنقديةما ورد في المسرد الاصطلاحي الذي أثبته "عبد السلام المسدي" في نهاية كتابه "الأسلوبية والأسلوب"، ومن ذلك نذكر[1]: الإستجابة(Repense)،الارتفاع(Hauteur)،الطول(Longueur)، الإخبار (Information)، العمق (Profondeur)، الشحنة (Charge)، استقطب (Polariser)، الإفراز (La sécrétion)، المكرّس (Le consacré)، الكلّ (Le tout) وغيرها.

3.3. ذاتية الاجتراح الاصطلاحي

تتجسد هذه الإشكالية في عدم التزام بعض النّقاد بالمصطلحات المتداولة في السّاحةالنقدية، وسبك مصطلحات جديدة أو ترجمة أخرى تخالف ما هو شائع بين النّقاد والقراء، مما يزيد اضطراب الخطاب النقدي، ويحول دون تقدّم الخطاب النقدي المغاربي، وإنجاز وتحقيق ما كان مرجوا ومأمولا منه؛ فتحديد المصطلحات والاتفاق على مفاهيمها ينبغي أن يكون البداية الصحيحة للنقد عندنا قبل التّوجه إلى الانشغال بأحدث القضايا النقدية وأدقها.

من بين نماذج عدم التزام بعض النّقاد بالمصطلحات المتداولة في السّاحة النقدية، ومخالفتهم في استعمال بعض المصطلحات النقدية لما هو شائع بين النّقاد والقراء،؛ تفضيل "عبد الملك مرتاض" في كتاباته ترجمة بعض المصطلحات خلاف ما هو متداول وشبه مستقر بين الباحثين، ومن ذلك استخدامه لكلمة "الحيز"[(2)]ترجمة لمصطلح (L'espace)وكنّا قد تعودنا على كلمة "الفضاء " كترجمة لهذا المصطلح الأجنبي، كما قدّم عبارة "الإشارية"[(3)]ترجمة لمصطلح (Sémiotique) وكنا قد تعودنا أو عوّدنا "عبد الملك مرتاض" ذاتهعلى مصطلح " السيمائية" . ونجد الصنيع نفسه عند "عبد السلام المسدي" في كتابه "الأسلوبية والأسلوب" الذي ترجم مصطلح (Le système) ب"الجهاز"[(4)]، وكنا قد تعودنا على ترجمة هذا المصطلح بـ"النسق" أو

1) عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، د. ت، ص ص148، 223، 177، 151، 170، 188، 184، 192.

2) عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة، ط1، الجزائر، 2007، ص297.

3)عبد الملك مرتاض، النص الأدبي من أين وإلى أين؟ ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر، 1983، ص21.

4) عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص147

"النظام"، أو ترجمة "محمد الناصر العجيمي" في كتابه "في الخطاب السردي" مصطلح (Sémiotique) بـ"علم الدلالة"[1]وهي الترجمة التي تستخدم في العادة مقابلا للمصطلح الأجنبي "Sémantique"، وهو فرع من فروع الدراسات اللغوية يهتم بدراسة المعنى؛وهذا ما يؤدي إلى إحداث فوضى واضطراب اصطلاحي مضاعف وتداخل الاختصاصات والتباس الأمر على القارئ؛ وذلك من خلال اجتراح ترجمات جديدة لمصطلحات نقدية غربية أخذت ترجمتها العربية السابقة طريقها للتداول والاستعمال؛ لهذا يفضل بعض النقاد الإبقاء على ترجمة بعض المصطلحات الغربية بالرّغم من إيمانهم بأنها ليست الترجمة الأنسب والأقرب لروح المصطلح الغربي، ومن ذلك مثلا كلمة تفكيكية كترجمة لمصطلح(Déconstruction)؛ إذ " ليست كلمة تفكيكية – كما يتّضح معناها عند دريدا- أنسب كلمة يترجم بها مصطلحDéconstruction، ولكن نظرا لتوالي استخدام الكلمة في النقد العربي، أحافظ هنا على استخدامها وذلك حتى لا أضيف مزيدا من البلبلة إلى مجال تضطرب فيه ترجمة المصطلحات غاية الاضطراب"[2].

إن هذا الاضطراب المصطلحي لا يخدم تطور النقد العربي المغاربي، فإذا كانت المصطلحات تتأرجح في الدلالات، ولا تستقر على حال، فلن يكون بمقدور أي باحث أن يوصل أعماله إلى القراء حسب ما يرتضيه من فهم، و"لن يكون هناك مصطلح عربي إن لم يتوفر رجال يحملون الثقافة العربية والثقافة الأجنبية ما يجعلهم قادرين على القول الفصل، وصادرين عن أصالة وتفكير عميق في وضع المصطلحات"[3]؛ إذ المعرفة الشاملة بماهية وهوية المصطلح المراد ترجمته ووضعه ضرورة حتمية.

1)محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي نظرية قريماس، الدار العربية للكتاب، ط1، تونس، 1991، ص21.

2) محمود الربيعي، من أوراق النقدية،دار غريب، د. ط، القاهرة، مصر، د.ت، ص60.

3) حفناوي بعلي، الترجمة النقدية التأويلية ترجمة الكتب المقدسة، دار اليازوري العلمية، ط1، الأردن، 2018، ص57.

4.3. إلصاق مصطلح أجنبي معرّب بمصطلح عربي أصيل:

تعد ترجمة السوابق أو اللّواحق في المصطلحات النقدية من القضايا المهمة والمشكلات التي تواجه مترجمي الكتب والدراسات النقدية الأجنبية، وأيضا اختصاصي المصطلحات ومصنفي المعاجم النقدية والأدبية المتخصصة؛ إذ يتعذر أحيانا على المترجم إيجاد مقابل للسابقة أو اللاحقة يؤدي المعنى المراد، فيقوم بتعريب هذه السابقة أواللاحقة وإلصاقها بمصطلح عربي متداول، فعلاوة على أن هذا الأسلوب يجانب الاستعمال العربي الفصيح؛ فإنه يدخل القارئ في دوامة فهم المقصود من هذا الصنيع،فمصطلح (Métacritique) مثلايترجمأحياناب"الميتانقد" وهي الترجمة التي اصطنعها الناقد العراقي "باقر جاسم محمد" في مقالته "نقد النقد أم الميتانقد؟ (محاولة في تأصيل المفهوم) "، وتبعه في ذلك العديد من الباحثين والنقاد المغاربة في دراساتهم وبحوثهم العلمية[1].

وإذا كان مصطلح "نقد النقد" هي الترجمة الغالبة والأكثر شيوعا للمصطلح الأجنبي (Métacritique)؛ فإن هذه الترجمة المتتجاوز في السياق العربي بعد"دائرة الالتباس المضاعف الآتي من اجتماع كلمتين هما في الأصل كلمة واحدة ينضاف التباسه االأصلي إلى التباس آخر ينجم عن إضافة غامض إلى نفسه"[2]،فإن الالتباس يتضاعف أكثر فأكثر بإلصاق مصطلح أجنبي معرّب هو "الميتا" (Méta) بمصطلح عربي أصيل هو "النقد"، وهذا ماحذرت منه المجامع العلمية اللغوية أثناء وضع المصطلحات العلمية والفنية وترجمتها، حفاظا على سلامة اللغةالعربية؛ إذ دعت إلى ضرورة "تجنب استعمال السوابق واللواحق الأجنبية ؛لأن اللغةالعربية لغةاشتقاقية وليست إلصاقية، ووجوب اعتماد الأساليب العربية في وضع المصطلحات"[3].

---

1) نجد من بين هؤلاء: بن خاوة أمينة في مقالها: إشكالية المنهج في الخطاب الميتانقدي العربي –دراسة في نماذج مختارة- و معاندي عبلة في مقالها: حول الوعي النظري المأزوم –قراءة ميتانقدية في الخطاب التنظيري العربي المعاصر- وسعد الجموعي في دراسته: نقد النقد –قراءة في استراتجياته ورهاناته المعرفية- وغيرهم.

2)محمد الدغمومي،نقد النقد وتنظير النقدالعربي المعاصر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1،الرباط، 1999، ص113.

3) أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 2001،ص15.

كما أن المصطلح الأجنبي المعرّب "الميتا (Méta) "تختلف دلالته من حقل معرفي إلى آخر بحيث يصعب، في كثير من الأحيان، ترجمته والقبض على دلالته الحقيقية في اللغة الهدف؛ إذ تعني هذه السابقة الإغريقية في "حقل العلوم الإنسانية والفلسفية بالذات غير ما تعنيه في الكيمياء العضوية مثلاً، فهي تعني في حقول العلوم الإنسانية: الاحتواء،أكثر مماتعني الإبعاد والإخراج"[1]،فإذا نحن أخذنا بدلالة مصطلح "الميتا" على الاحتواء، وأجرينا ذلك على "نقدالنقد"، دل هذا الصنيع على وجود حقل معرفي (النقد) ينضويتحتحقلمعرفيآخرويدخلتحتلوائه (الميتانقد)، فيصير بذلك النقد الأدبي فرعا معرفيا، وجزءًا لا يتجزأ من الحقل المعرفي الجديد (نقد النقد)، في كون الناقد "باقر جاسم محمد" من حيث إنه دعا إلى ضرورة" فك التداخل والاشتباك بين النقد الأدبي والحقل العلمي الجديد [نقد النقد] "[2]،واستقلال كل منهما عن الآخر، قدأحكم، من حيث لم يشعر، الارتباط بينهما وشدّه.

أما قوله بأن "الميتا نقد" لا يبتعد عن مصطلحات كالميتافيزيقا مثلاً فذلك شأن آخر؛ لأن مصطلح الميتافيزيقا هو تعريب للمصطلح الأرسطي (Métaphysique)، وليس إلصاق المصطلح إغريقي (الميتا) بمصطلح عربي (النقد)، هذا من جهة،ومن جهةأخرى، فإن الفلاسفة العرب قد ترجموا مصطلح (Métaphysique) بمصطلح (ماوراء الطبيعة)؛ لأنه يدل على ذلك فعلاً في اللغة التي نقل منها؛ إذ تشير لفظة "الميتافيزيقا" إلى كل" الموضوعات الخارجة عن نطاق التجربة ونطاق الزمان والمكان"[3]. من هنا يبدو أن تشبيه "باقر جاسم محمد" للميتا نقد بالميتافيزيقا لم يكن في محله، فإذا كانت "الميتافيزيقا" ،بوصفها علما، تختلف عن "الفيزيقا" (علم

1) عبدالملك مرتاض، في نظرية النقد (متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها)، دارهومه، ط1،الجزائر،2005، ص224.

2) باقرج اسم محمد، نقد النقد أم الميتانقد؟ (محاولة في تأصيل المفهوم)، مجلة عالم الفكر،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،م37،ع3، يناير،مارس2009، ص122.

3) إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، ط1، صفاقس، تونس، 1986،ص 362.

الطبيعة) من حيث الماهية، وموضوعات الدراسة فإن موضوع "الميتانقد" هو النقد الأدبي ذاته.

4. الحلول المقترحة للخروج من أزمة المصطلح النقدي المغاربي المعاصر:

سعى كثير من النقاد والباحثين بعد تفشي أزمة المصطلح النقدي في الثقافة العربية الحديثة والمعاصرة عموما والمغاربية على وجه الخصوص إلى إيجاد حلول جوهرية آنية ومستقبلية؛ لتجاوز هذا الاضطراب والفوضى التي ألمت بالخطاب النقدي عموما، ومن بينها[1]:

- تعريف المصطلح تعريفا لغويا واصطلاحيا، والوقوف على اختلاف المذاهب الأدبية في تحديده، وذكره بلغة أجنبية واحدة أو أكثر لمعرفة المقابل الأجنبي، والاستفادة منه في الترجمة والتأليف، ويبقى المصطلح العربي الأصيل أساسا في عرض المصطلحات، ولا سيما ما استقر منها وأصبح أكثر دلالة من غيره.

- تكوين المصطلحي / الناقد الذي يكون بمثابة الخبير في مجال المصطلحية، يكون همه متابعة توظيف المصطلح في الخطابات النقدية، هذا المصطلحي يجب أن تتوفر فيه مجموعة من الصفات، وهي: الممارسة العلمية، إتقان لغة أجنبية أو أكثر، أن يكون ملما بجميع الاقتراحات والتوصيات التي قدمتها اللجان العلمية للملتقيات والمنتديات في لقاءاتها المختلفة، أن يكون ذا حس فني رفيع حتى يتسنى له فهم خطاب الناقد حول النص الإبداعي، ومن ثم معالجة الاستخدام المصطلحي داخل الخطاب النقدي.

- التنسيق بين الباحثين وأيضا بين الهيئات والمجامع اللغوية أثناء وضع المصطلح وترجمته.

- وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد، وتجنب تعدد المصطلحات للمفهوم الواحد أو تعدد المفاهيم للمصطلح الواحد.

---

1) ينظر: عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في النقد العربي المعاصر،ص316، وفاضل ثامر، اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، المركز الثقافي العربي،ط1، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، 1994، ص ص172، 173، وأحمد مطلوب، نحو معجم لمصطلحات النقد الحديث، مجلة المجمع العلمي، المجمع العلمي العراقي، بغداد،م43،ع02، 1996، ص ص 86 -88، وقداوي سمية و فرقاني جازية، اضطراب المصطلح النقدي بين التأصيل والترجمة، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر،م13، ع1، 2021، ص99.

- تفضيل الكلمات العربية الفصيح المتواترة على الكلمات المعرّبة، ويمكن التعرّيب عند الحاجة؛ تلافيا للاضطراب والفوضى الناجمة عن الاختلاف والشرذمة في ترجمة المصطلحات الأجنبية في الثقافة النقدية المغاربية المعاصرة.
- بناء المصطلح النقدي على أسس وضوابط علمية محددة، واعتماد منهجية ثابتة في وضعه تتواءم وقواعد اللغة العربية؛ إذ ينبغي للمصطلح النقدي أن يكون مقبولا في بنيته الصوتية والصرفية وخصائصه التركيبية والدلالية.
- جرد أهم الكتب النقدية والأدبية المترجمة، واستخلاص المصطلحات النقدية التي استخدمت في هذا القرن، والاتفاق على مصطلح دقيق للدلالة على المعنى الجديد.
- وضع استراتيجية لإحياء المصطلحات النقدية التراثية وشحنها بمفهوم جديد وتطويرها لتقابل المصطلحات الأجنبية.
- توحيد المصطلحات من خلال إعادة وصل ما انقطع من النظرية النقدية العربية التي اجتهد في وضعها القدامى.
- تطوير تقنيات الترجمة المصطلحية واعتمادها بطريقة موحدة في كل الأقطار العربية، والحد من الاقتراض وتشجيع التوليد والاشتقاق في صياغة المصطلحات النقدية.
- عقد مؤتمرات وطنية ودولية يشارك فيها باحثون متخصصون في مجال المصطلحية؛ لتحديد أسباب الاضطراب والفوضى الاصطلاحية، والوصول إلى حلول ناجعة لتجاوز هذه الأزمة التي تعصف بالخطاب النقدي كما تعصف بغيره من المجالات العلمية في ثقافتنا المغاربية.

5. خاتمة:

في نهاية هذه الدراسة يمكن تلخيص أهم النتائج المتوصل إليها في النقاط الآتية:

- إن من أهم الأسباب التي شحذت تفاقم إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي المغاربي: تنفس المصطلح النقدي بعد هجرته إلى بيئة لها خصوصيتها الحضارية التي تختلف اختلافا كبيرا عن البيئة الغربية التي لفظته أول مرة.
- تتجسد أبرز مظاهر وتجليات اضطراب ترجمة المصطلح في الخطاب النقدي المغاربي المعاصر في: تعدد المصطلحات للمفهوم الواحد، تعدد المفاهيم للمصطلح

الواحد، التداخل بين المصطلحات والكلمات العادية، ذاتية الاجتراح الاصطلاحي، إلصاق مصطلح أجنبي معرب بمصطلح عربي أصيل.

- إن شيوع الذاتية والفردية في ترجمة المصطلحات واجتراحها، وعدم التنسيق بين النقاد والباحثين في وضع المصطلحات وتسمية ما يُستجد في حقول العلم والمعرفة كان له أثر عظيم في بلبة واضطراب ترجمة المصطلح في الخطاب النقدي المغاربي المعاصر.
- برز جليا عند العديد من النقاد المغاربة إطلاق الكلمات العادية وتسميتها مصطلحات، وكان الأولى أن تسمى ترجمة للمصطلحات لا مصطلحات؛ لأنها إذا عزلت عن أصلها الأجنبي فقدت دلالتها النقدية والاصطلاحية.

مما تقدّم يمكن القول أخيرا: إن تجاوز الأزمة الاصطلاحية في النقد العربي المعاصر لن يتحقق ما لم يتخل النقاد والباحثون في المشرق والمغرب عن الذاتية والفردية، وتعمّد مخالفة الآخر في ترجمة المصطلح الأجنبي أو في اجتراح مصطلحات جديدة، ويسارعوا إلى التنسيق فيما بينهم وبين المجامع والهيئات اللّغوية؛ لتوحيد المصطلح وضبطه، والالتزام بقرارات وتوصيات هذه الهيئات في الكتابات النقدية؛ لتجنيب القارئ التشويش والاضطراب، ووضعه في حيرة من أمره.